تفسير البغوي

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

قوله - عز وجل - : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) الآيات سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد االله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد العزيز بن عبد االله أخبرنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد االله بن عبد االله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي االله عنها زوج النبي - صلى االله عليه وسلم - حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا .قالوا : قالت عائشة : كان رسول االله - صلى االله عليه وسلم - إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه وأيهن خرج سهمها خرج بها النبي - صلى االله عليه وسلم - معه قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج

فيها سهمي فخرجت مع رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول االله - صلى االله عليه وسلم - من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه . قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ،

فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها ، فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول .قالت : فهلك من هلك ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول ، قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه .وقال عروة أيضا : لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة ، كما قال الله تعالى (والذي تولى كبره) قال : عبد الله بن أبي ابن سلولقال عروة : كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذي قال :فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاءقالت عائشة : فقدمنا المدينة ، فاشتكيت حين قدمت شهرا ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيسلم ثم يقول كيف تيكم ؟ ثم ينصرف ، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت ،

فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا .قالت : فانطلقت أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟ قالت فقلت : ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، قالت فازددت مرضا على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ، ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت : وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، قالت : فأذن لي رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ، فقلت لأمي : يا أمتاه ماذا يتحدث الناس ؟ فقالت : يا بنية هوني عليك فواالله لقل ما كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها .

قالت فقلت : سبحان االله أولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى

أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل [بنوم] ، ثم أصبحت أبكي .قالت : ودعا رسول االله - صلى االله عليه وسلم - علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله ، فأما أسامة فأشار على رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه ، فقال أسامة : أهلك ولا نعلم إلا خيرا ، وأما علي فقال : يا رسول االله لم يضيق االله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك ، قالت : فدعا رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بريرة ، فقال : أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله .قالت : فقام رسول االله - صلى االله عليه وسلم - [من يومه] فاستعذر من عبد االله بن أبي وهو على المنبر ، فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ، واالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي ، قالت : فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل ، فقال أنا يا رسول االله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا

ففعلنا أمرك ، قالت : وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، قالت : وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر االله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر االله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول االله - صلى االله عليه وسلم - قائم على المنبر ، قالت : فلم يزل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يخفضهم حتى سكتوا وسكت .قالت : فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم [قالت وأصبح أبواي عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم] ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي ، وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي معي .قالت : فبينا نحن على ذلك دخل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - علينا فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء ، قالت : فتشهد رسول االله - صلى االله عليه وسلم - حين جلس ثم قال

: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك االله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري االله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب االله عليه .قالت : فلما قضى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - مقالته فاض دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي أجب رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فيما قال ، فقال أبي : واالله ما أدري ما أقول لرسول االله - صلى االله عليه وسلم - ، فقلت لأمي : أجيبي رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فيما قال ، فقالت أمي : واالله ما أدري ما أقول لرسول االله - صلى االله عليه وسلم - ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا : إني واالله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ، ولئن اعترفت لكم بأمر واالله يعلم أني منه بريئة لتصدقني ، فواالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف حين قال : " فصبر جميل واالله المستعان على ما تصفون " (يوسف - 18) ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم واالله يعلم أني حينئذ بريئة ، وأن االله مبرئي ببراءتي ، ولكن واالله ما كنت أظن أن االله منزل في شأني وحيا يتلى ، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم االله في بأمر ، ولكن كنت أرجو أن

يرى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - في النوم رؤيا يبرئني االله بها ، فواالله ما رام رسول االله - صلى االله عليه وسلم - مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان ، وهو في يوم شات ، من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت : فسري عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة أما واالله فقد برأك االله ، قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه فقلت : واالله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا االله ، قالت : وأنزل االله تعالى : " إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم " العشر الآيات ، فلما أنزل االله في براءتي قال أبو بكر الصديق ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : واالله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل االله : (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) إلى قوله (غفور رحيم) قال أبو بكر الصديق : بلى واالله إني لأحب أن يغفر االله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : واالله لا أنزعها منه أبدا .قالت عائشة : وكان رسول االله - صلى االله عليه وسلم - سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول االله أحمي سمعي وبصري

، واالله ما علمت إلا خيرا ، قالت عائشة وهي التي تساميني من أزواج النبي - صلى االله عليه وسلم - فعصمها االله بالورع ، قالت : وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك .قال ابن شهاب : فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط ، قالت عائشة : واالله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول : سبحان االله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط . قالت : ثم قتل بعد ذلك في سبيل االله .ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير ، أخبرنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله ، وقال : وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري االله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب االله عليه ، إلى قوله : فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك .ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ولقد جاء رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بيتي فسأل عني خادمتي ، فقالت : لا واالله ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، فانتهرها بعض أصحابه ، فقال : اصدقي رسول االله حتى أسقطوا لهابه ، فقالت : سبحان االله واالله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، وفيه قالت : وأنزل على رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فرفع عنه وإني

لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول : أبشري يا عائشة فقد أنزل االله براءتك فقال لي أبواي : قومي إليه فقلت : لا واالله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد أحدا ولكن أحمد االله الذي برأني لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه .أما تفسير قوله : (إن الذين جاءوا بالإفك) بالكذب ، والإفك : أسوأ الكذب ، سمي إفكا لكونه مصروفا عن الحق ، من قولهم : أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه ، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه ، (عصبة منكم) أي : جماعة منهم عبد االله بن أبي ابن سلول ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، زوجة طلحة بن عبيد االله ، وغيرهم ، (لا تحسبوه شرا لكم) يا عائشة ويا صفوان ، وقيل : هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي - صلى االله عليه وسلم - ولصفوان ، يعني : لا تحسبوا الإفك شرا لكم ، (بل هو خير لكم) لأن االله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم .(لكل امرئ منهم) يعني من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الإثم) أي : جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ، (والذي تولى كبره) أي : تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه ، قرأ يعقوب " كبره " بضم الكاف ، وقرأ العامة بالكسر ، قال

الكسائي : هما لغتان . قال الضحاك : قام بإشاعة الحديث ، وهو عبد االله بن أبي ابن سلول .وروى الزهري عن عروة عن عائشة (والذي تولى كبره منهم) قالت : عبد االله بن أبي ابن سلول ، والعذاب الأليم هو النار في الآخرة .وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الإفك قالت : ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين ، وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس ، فقال عبد االله بن أبي ، رئيسهم : من هذه ؟ قالوا : عائشة قال : واالله ما نجت منه وما نجا منها ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها . وشرع في ذلك أيضا حسان ، ومسطح ، وحمنة ، فهم الذين تولوا كبره .وقال قوم : هو حسان بن ثابت . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد االله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا بشر بن خالد ، أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بأبيات له ، وقال :حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافلفقالت له عائشة : لكنك لست كذلك ، قال مسروق فقلت لها : لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال االله تعالى : (

والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) قالت : وأي عذاب أشد من العمى ، وقالت : إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - .ويروى أن النبي - صلى االله عليه وسلم - أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين .